المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

العولمة الإعلامية وتأثيرها في القيم الإسلامية رؤية نقدية

الباحث: الدكتور: علي منذر دقامسة

E-MAILE: alida1979@yahoo.com

الملخص

في ظل اجتياح العولمة الإعلامية المجتمعات وخاصة العربية والإسلامية منها، انعكس ذلك على المحتويات والمضامين التي أصبحت محملة بقيم ومظاهر جديدة تتنافى والقيم الأصلية التي تعرفها البيئة العربية والإسلامية؛ ونتيجة لذلك أصبحت تشكل خطرا ماحقا يهدد الهويات ويهدم البنيات الثقافية للمجتمعات الإسلامية، كما يغلق أبواب التواصل والحوار الإيجابي فيما بينها. لذا تأتي هذه الدراسة للوقوف عند حدود تأثير العولمة الإعلامية غي القيم الإسلامية من خلال التعريج اولا على الدلالة المفاهيمية لكل من تيار العولمة والعولمة الاعلامية، ثم رصد التأثيرات السلبية التي باتت تحدثها على مستوى هوية المجتمعات الاسلامية وقيمها، وختاما سيتم عرض جملة من التوصيات للنهوض بالإعلام العربي الاسلامي حتى يتحصن من التيارات الجارفة للعولمة الإعلامية بما يضمن صناعة اعلامية تنطلق من روح الاسلام وتعكس جوهره وتحافظ على الموروث الثقافي والقيمي للمجتمعات الإسلامية.

الكلمات المفتاحية : العولمة , القيم الإسلامية, رؤية نقدية.

Research Summary

In light of media globalization sweeping societies, especially Arab and Islamic societies, this has been reflected in the contents and contents that have become loaded with new values and appearances that are inconsistent with the original values defined by the Arab and Islamic environment. As a result, it has become an imminent threat that threatens the identities and destroys the cultural structures of Islamic societies, as well as closes the doors of communication and positive dialogue between them.

Therefore, this study comes to stand at the limits of the influence of media globalization on Islamic values by first introducing the conceptual significance of both the current of globalization and media globalization, then monitoring the negative effects that are now occurring on the level of the identity and values of Islamic societies, and in conclusion, a number of recommendations will be presented to promote Arab media The Islamic organization is to protect itself from the sweeping currents of media globalization, to ensure a media industry that starts

from the spirit of Islam, reflects its essence, and preserves the cultural and value heritage of Islamic societies.

key words :Globalization, Islamic values, a critical vision.

المقدمة

منذ نهاية القرن العشرين خضع العالم إلى تحولات كبرى نتيجة التطور المذهل والانفجار الذي عرفته الثورتين الرقمية والعلمية، وما رافقتهما من طفرات على مستوى تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، أدت بلا شك إلى تحول جذري على مستوى طرق وأساليب جمع المعلومات ومعالجتها وتخزينها وعرضها، فأصبحنا نتحدث عن إعلام جديد مختلف تماما عن ذلك الإعلام التقليدي المحدود القدرات والوسائل والآليات وحتى الآثار. مما أسهم في بروز ظواهر لم يعرفها التاريخ من قبل؛ ولعل أهمها انتشارا وأكثرها هي ظاهرة العولمة .

لقد أثار مفهوم العولمة إشكاليات معرفية وفكرية عديدة ارتبطت في بدايتها بمجال الاقتصاد، لتمتد فيما بعد إلى المجالات الأخرى كالعلوم الاجتماعية والثقافية والسياسية والبيئية والإعلام والاتصال، مما أكسبها طابعا كونيا، وجعلها في العصر الحالي قضية جوهرية شغلت اهتمام جميع الباحثين والدارسين في جميع المجالات، وبقدر اختلاف التوجهات، اختلفت الرؤى وتضاربت الأفكار وتناقضت، في محاولة كل منهم التأثير على الآخر، والخروج بتصور واحد شامل يحدد مفهوم ذات طبيعة زئبقية، يصعب فهمه وتحديد أنماطه وأبعاده.

إننا اليوم نقف أمام عولمة جديدة يتحكم قادتها في وسائل الإعلام والاتصال، بدءا بالتقنيات والأدوات والأجهزة، مرورا إلى السيطرة على المعلومات ومصادرها ومحتوياتها، ثم آليات وطرق عرضها وبثها. ولما كان الإعلام الوسيلة الأقرب للناس والأكثر تأثيرا فيهم وتوجيههم، والقادرة كذلك على صناعة مواقفهم وآراءهم ووجهات نظرهم؛ فإنه في عصر العولمة والتكنولوجيات المتطورة قد عزز من خصائصه وسماته هذه، وبات يقدم صورا تبدو عند متلقيها كالأحلام التي طال انتظار تحققها، تخرجهم من مآسيهم، وتخلصهم من معاناتهم، وتحقق أمانيهم ورغباتهم، لكنها في الحقيقة أحلام من سراب سرعان من تتلاشى وتختفي.

إن العالم اليوم لا يخلو من التحديات والإشكالات، فبعض الدول تعاني من تحديات تكنولوجية مرتبطة أساسا بنقص حاد في الأجهزة والتقنيات الحديثة وعدم قدرتها على الدخول غمار المنافسة وصناعة منتجها الخاص، أما دول أخرى فهي تتخبط في إشكالاتها سياسية التي لا تترك لها مجالا في التفكير في القضايا الأخرى، وأما بعضها الآخر فلا يستطيع إيجاد حلول حتى لأبسط مشاكله الاقتصادية والاجتماعية. لكن مع ذلك فالتحدي الأكبر الذي يتقاسمونه جميعا، بحيث لا يمكن لأي دولة مهما كانت مقوماتها وقدراتها إلا أن تستسلم أمامه وتعجز عن حله، هو تحدي القيم والهوية الذي أضحى يشكل هاجسا للمجتمعات البشرية كافة كونه يضرب عمقها ويهدد كيانها واستقرارها.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

فمن خلال ما سبق تبرز الإشكالية الأساسية التي نحاول معالجتها من خلال هذا المقال والتي تتحدد في التساؤل الرئيس : إلى أي حد استطاعت العولمة الإعلامية التأثير في القيم الإسلامية؟ والذي يتفرع عنه جملة من التساؤلات يمكن صياغتها كالآتي:

- ما مفهوم كل من العولمة والعولمة الإعلامية وما علاقة هذه المفاهيم ببعضها البعض؟
- كيف استطاعت عولمة وسائل الإعلام والاتصال غزو المجتمعات وتنميط الثقافات ونشر ثقافة عالمية موحدة مهددة للقيم الإسلامية؟
- ما هي تجليات العولمة الإعلامية والآثار الثقافية والقيمية التي أحدثتها في المجتمعات العالمية بشكل عام والمجتمعات العربية الإسلامية خاصة؟

أولا: مفهوم العولمة وأنواعها

"تشير الدراسات إلى أن مصطلح العولمة بمفهومه اليوم لم يكن له وجود قبل منتصف عقد الثمانينيات وأن قاموس أوكسفورد للكلمات الإنجليزية الجديدة أشار ولأول مرة لمفهوم العولمة سنة ١٩٩١ واصفا إياه بأنه من الكلمات الجديدة التي برزت خلال التسعينات."[1] وبذلك فمصطلح العولمة ظهر لأول مرة بالولايات المتحدة الأمريكية وقد جاء بمعنى "تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل."[2]

وخلال هذه الفترة "ظهرت العولمة كمفهوم في أدبيات العلوم الاجتماعية وكأداة تحليلية لوصف عمليات التغير في مجالات مختلفة وتجسد للتطورات الحياتية والفكرية التي شهدتها الإنسانية في المرحلة الأخيرة وهي بذلك تختلف عن الحداثة*، إذ أن العولمة أزالت الحدود الجغرافية التي سبق وأن شيدتها الحداثة."[3]

ويعود تاريخ استعمال مصطلح العولمة في العلوم الاجتماعية بشكل فعلي "للعالم السوسيولوجيا الكندي مارشال ماكلوهان أستاذ الإعلاميات السوسيولوجية في جامعة تورنتو والذي كان أول من أطلقه معرفيا عندما صاغ في نهاية الستينات مفهوم القرية الكونية."[4]

ثم جاء بعده "زيبغنيو بريجينسكي الذي أصبح فيما بعد مستشارا للرئيس الأمريكي في عهد كارتر (١٩٧٧-١٩٨٠) وعمل على تقديم أمريكا التي تمتلك ٧٥٪ من مجموع الاتصالات العالمية "نموذجا كونيا للحداثة".

[1]- رحيمة عيساني، الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية، ص ٦٧.

[2]- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر العربي: العولمة ـ صراع الحضارات ـ العودة إلى الأخلاق ـ التسامح ـ الديمقراطية ونظام القيم ـ الفلسفة والمدينة، ، ص١٣٦.

[3] *الحداثة: هي نقيض القديم والتقليدي وهي محاولة للتجديد والإبداع والابتكار وتجاوز التقليد والتخلف كما أنها تعكس بأكملها التحول الهائل الذي غزا مجال الفكر والتقنية والمعرفة بصفة عامة.

- صابر حارص، الإعلام العربي والعولمة الثقافية والسياسية من الترغيب والتنويم إلى الصراع والتدمير، ص ١٧.

[4]- صابر حارص، الإعلام العربي والعولمة الثقافية والسياسية من الترغيب والتنويم إلى الصراع والتدمير، مرجع سابق، ص ١٧

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

"[1] وتَعتبر "منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في أوروبا OECD أن مصطلح العولمة استخدم لأول مرة عام ١٩٨٥ من قبل تيودور ليفت تحت عنوان عولمة الأسواق، وذلك لوصف التغيرات التي حدثت خلال الحقبتين الماضيتين في الاقتصاد الدولي."[2]

ومصطلح العولمة في اللغة الإنجليزية "يقابله Globalization وهو مشتق من الجذر اللاتيني Glob بمعنى الكرة الأرضية."[3] وقد "جاء في معجم ويبستر Webster أن العولمة Globalization هي إكساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالميا."[4] أما ترجمتها في اللغة الفرنسية فهي كلمة Mondialisation والتي تعني "جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة."[5] وقد جاءت العديد من المحاولات لتحديد مصطلح دقيق يقابل الكلمة الانجليزية الأصلية، مثل "العالمية"[6]، "الكونية"[7] و"الكوكبة"[8].

ومع ذلك تم تجاوز هذه التباينات والاتفاق بين العديد من الباحثين على مصطلح العولمة كمقابل للكلمة الانجليزية Globalization بالرجوع إلى أصولها اللغوية، حيث أن "العولمة مشتقة من الفعل "عولم" على صيغة "فوعل" واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي تفيد وجود فعل قصدي وراء ظاهرة العولمة يستهدف تحقيق غايات وأهداف محددة من هذا الفعل ويقابل ذلك صيغة "Zation" في الانجليزية على خلاف صيغة "Ism" في كلمة Globalism التي تعني العالمية."[9]

---

[1]- المرجع نفسه، ص ١٧.

[2]- رحيمة عيساني، الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية، مرجع سابق، ص ٦٧.

[3]- المرجع نفسه، ص ٦٧.

[4]- المرجع نفسه، ص ٦٧.

[5]- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر العربي، مرجع سابق، ص١٣٦.

[6]- أحمد الجميلي، أوهام التنمية العربية: صورة الاختلالات في هياكل الإنتاج وتركيب التجارة الخارجية، مجلة شئون سياسية، ع ١، يناير، ١٩٩٤، ص٣١.

[7]- مجموعة باحثين، بحوث ومناقشات ندوة فكرية: العرب والعولمة، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط٣، بيروت، ٢٠٠٠.

[8]- إسماعيل صبري عبد الله، الكوكبة الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية، مجلة الطريق، ع ٤، غشت ١٩٩٧، ص ٤٦.

[9]- صابر حارص، الإعلام العربي والعولمة الثقافية والسياسية من الترغيب والتنويم إلى الصراع والتدمير، العربي للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢٠.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

وإذا أردنا تحديد وفهم مصطلح العولمة فهما دقيقا فإنه من الضروري الرجوع للسياق الأول الذي وضعت فيه. ومن خلال تتبع تاريخ بروزها يتضح أن الملامح الأولى لظهور العولمة ارتبطت أساسا بالاقتصاد، ولذلك جاءت العديد من التعريفات التي تناولت العولمة باعتبارها عملية اقتصادية بالأساس، حيث تعرفها بأنها "العملية التي عن طريقها تصبح الأسواق والإنتاج في الدول المختلفة تعتمد كل منها على الأخرى بشكل متزايد بسبب ديناميكيات التجارة في السلع والخدمات وتدفق رأس المال والتكنولوجيا، وهي ليست بظاهرة جديدة ولكنها استمرارية للتطورات التي تتابعت لفترة طويلة من الزمن."[1]

كما تُعرّف بأنها عملية "إزالة الحدود الاقتصادية والعلمية والمعرفية بين الدول ليكون العالم أشبه بسوق موحدة كبيرة يضم عدة أسواق ذات خصائص ومواصفات تعكس خصوصية أقاليمها كما تعكس المتطلبات التي يفرضها التكامل الاقتصادي."[2] وفي نفس السياق تعرّف بأنها "الحركة النشطة والحرة والمتسارعة للمبادلات العالمية والمالية والتجارية، وإلغاء الحدود والحواجز التشريعية والجمركية وغيرها أمام حركة تنقل السلع ورؤوس الأموال، ويمثل تطور الانترنيت والتجارة عبر هذه الشبكة العالمية ظاهرة جديدة من ظواهر عولمة الاقتصاد"[3]

لكن في المقابل يُنظَر إليها بأنها "تنميط اقتصاديات العالم بطريقة تخضع اقتصاديات الكوكب لمجموعة من الشركات المتعددة الجنسية، وهذا الأساس الاقتصادي يحاول أن يبرز نفسه من حيث هو هيمنة رأسمالية حديثة جدا، بتقديم تخيلات براقة عن نفسه مستخدما مجموعة مما يسميه مباهج التقنية المعاصرة، وهي تؤكد أن هذه التقنية المعاصرة المصاحبة للعولمة مفيدة"[4]

وفي جانبها السياسي تعني العولمة "الاتجاه المتواصل نحو تعددية تُؤدي فيها المنظمات الدولية دورا رئيسا لتشكيل بنية عابرة للقوميات، وظهور شبكة من المنظمات غير الحكومية المحلية والدولية التي تراقب عمل الحكومات وتؤثر فيه."[5]هذا يعني أن المؤسسات والمنظمات الدولية عوّضت مهام الحكومات، وأصبحت هي التي تنظم عملها وتقرّر مكانها، بحيث تكون هذه القرارات متشابهة في مختلف أنحاء العالم وذلك من أجل

[1]- جراهام طومسون، مقدمة تحديد موقع العولمة المحلية الدولية للعلوم الاجتماعية، اليونسكو، ع ١٦٠، يونيو،١٩٩٠، ص١٠.

[2]- بثينة حسنين عمارة، العولمة وتحديات العصر وانعكاساتها على المجتمع المصري، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢١.

[3]- رحيمة عيساني، الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية، مرجع سابق، ص٧٥- ٧٦.

[4]- حسين علي إبراهيم الفلاحي، العولمة الجديدة: أبعادها، انعكاساتها، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، العراق، ٢٠١٤،ص ٣٢.

[5]- وليد عبد الحي، انعكاسات العولمة على الوطن العربي، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، سلسلة أوراق الجزيرة ٢١، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص٣٣.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

تكوين نظام دولي موحّد. وهو ما أشار إليه بريترون بادي في تعريف العولمة باعتبارها "عملية إقامة نظام دولي يتجه نحو التوحد في القواعد والقيم والأهداف مع ادعاء إدماج مجموع الإنسانية ضمن إطاره."[1]

والعولمة لا تقفز فوق الحدود الاقتصادية والسياسية فقط، ولكن الاجتماعية كذلك. وتُعرّف في هذا الصدد بأنها "عملية يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على مواثيق إنسانية عامة."[2]

وفي نفس الإطار يعرفها أنتوني جيدنز Anthony Geddenes بأنها "مرحلة جديدة من مراحل الحداثة وتطورها، تتكاثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، وحدوث تلاحم بين الداخل والخارج، وربط بين المحلي والعالمي بروابط اقتصادية وسياسية وثقافية وإنسانية. ولا يعني هذا إلغاء المحلي والداخلي، ولكن أن يصبح العالم الخارجي له حضور العالم الداخلي نفسه في تأثيره في سلوكيات الأفراد وقناعاتهم وأفكارهم، والنتيجة هي بروز العالم الداخلي وتقويته."[3]

وفقا لذلك فالعولمة هي بمثابة العصا السحرية التي جعلت المجتمعات أكثر قربا، وترابطا، وتلاحما، وانسجاما بهدف تحسين معيشة الدول النامية وجعلها من مستوى الدول المتقدمة، وإبرازها على الصعيد العالمي.

وعموما، انقسمت التعريفات التي اهتمت بمفهوم العولمة إلى تيارين: الأول مؤيد للعولمة يرى أنه لا مجال لمناقشة أسباب ظهورها ودوافعها ونتائجها، فهي تطور طبيعي، وظاهرة حتمية، ومرحلة مهمة في تاريخ الإنسانية نتجت عن التطورات العلمية والتكنولوجية السريعة التي عرفها العالم أجمع، شكلت قفزة نوعية على مستوى جميع الميادين والمجالات، وبذلك يتوجب البحث عن أساليب اغتنام فوائدها ومكاسبها من أجل الانفتاح على عالم جديد ومتطور.

أما التيار المعارض للعولمة فهو يرى أنها حركة استعمارية خُطّط لها من أجل تكريس هيمنة صانعيها في محاولة منهم تغيير البنيات الأساسية لمختلف عناصر الحياة البشرية سواء على المستوى الاقتصادي، أو السياسي، أو الاجتماعي، أو الثقافي، أو الإعلامي، أو الأمني.وبذلك لا يمكن بأي شكل من الأشكال الفوز ولو بإحدى ايجابياتها، ذلك أن الدول المتحكمة في آلياتها قادرة وحدها دون سواها على اقتناص فرصها الكبرى، وترك مخاطرها وتحدياتها تنهش في الدول التي لا تملك القوة ولا الأساليب لمواجهتها.

ثانيا: العولمة الإعلامية وأهدافها

[1]- عبد العزيز المنصور، العولمة والخيارات العربية المستقبلية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٥، العدد٢، ٢٠٠٩، ص ٥٦٢.

[2]- أحمد عباس البديع، ظاهرة العولمة: جذورها التاريخية وتداعياتها المعاصرة، مجلة النيل، الهيئة العامة للاستعلامات، ع ٧٢، القاهرة، ١٩٩٩، ص١١.

[3]- عبد العزيز المنصور، العولمة والخيارات العربية المستقبلية، ص ٥٦٢.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

إن عولمة وسائل الإعلام والاتصال من أقوى أدوات العولمة وأنواعها فهي المسؤولة المباشرة عن بروز جميع أبعادها الأخرى، بل هي التي تُقوّي مخططاتها وتساعدها على بلوغ أهدافها بسرعة أكبر، وبالاعتماد على أساليب أكثر ليونة ونعومة من الأساليب العسكرية.

إذا كان الإعلام قد اتسم منذ القدم بقدرته الكبيرة على الانتشار السريع في وقت قصير كما "أشار إلى ذلك مرشال ماكلوهان منذ ستينيات القرن الماضي بوصفه العالم على أنه عبارة عن قرية كونية أو قرية عالمية"[1]، فإنه يمكن تصور أداءه ووظيفته وأهدافه في عصر العولمة حيث سرعة انتشاره أكبر ووقت وصوله أقصر.

فمرحلة عولمة الإعلام والاتصال تؤرخ لمرحلة توحيد الخبر الذي تنقله وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري كل يوم بفضل التطورات التي شهدتها تكنولوجيا البث الفضائي خاصة، والتي سايرت ظاهرة العولمة لتفرز ما بدأ يصطلح عليه "القرية الإعلامية".

وقد تميزت هذه المرحلة الأخيرة التي يشهدها العالم اليوم، بالارتباط الوثيق بين ثورة وسائل الاتصال والثورة المعلوماتية، لدرجة أصبح من المستحيل الفصل بين وظيفة تكنولوجيا الاتصال ووظيفة المعلومات، وقد شكل اندماجهما هذا سُلطة تكنولوجية معلوماتية تهدف بالأساس إلى تعزيز قدرات وسائل الإعلام لتصبح قادرة على تجاوز الحدود الجغرافية والسياسية والفكرية والثقافية بين المجتمعات، والعمل على توحيد أسواق العالم، وتحقيق أرباح سواء بالنسبة للمؤسسات الإعلامية، أو غيرها في القطاعات الأخرى.

ولفهم معنى العولمة الإعلامية فهما دقيقا سنعرج في ما يلي على التعريفات التي تناولتها فقط أما أهدافها وخصائصها فسنخصص لها محاور أخرى نتطرق إليها فيما بعد:

يقدم محمد شومان تعريفا شاملا للعولمة الإعلامية حيث يعرفها بأنها "عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة، والتكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات، وذلك لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات والمعلومات العملاقة متعددة الجنسيات على حسب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى."[2]

وفي نفس السياق يعرّفها أحمد مصطفى بأنها "سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدودا فضائية غير مرئية، ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية لتقيم عالما من دون دولة، ومن دون أمة، ومن دون وطن، هو عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة، وشركات متعددة الجنسيات، يتسم مضمونه بالعالمية والتوحد على رغم تنوع رسائله التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز

[1]- مختار مفتاح السنوسي، الإعلام الدولي: الأسس والمفاهيم، دار زهران للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٨، ص٢٢.

[2]- محمد شومان، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي، مجلة عالم الفكر، ع ٢ ، ١٩٩٩، ص ١٦

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

الزمان والمكان واللغة، لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء.[1]" وبذلك فهي تسعى إلى "تعميم نمط من الأنماط الفكرية والسياسية والاقتصادية لجماعة معينة أو نطاق معين أو أمة معينة على الجميع أو العالم بأسره"[2]

وهناك تعريفات ركزت بالأساس على مقاربتها اجتماعيا وثقافيا باعتبارها "تعبير عن اتساع التدفقات الدولية في مجالات الإعلام والمعلومات، ونقل الأفكار والقيم والعادات الاجتماعية المختلفة من خلال وسائط الاتصال الحديثة والمتطورة التي برزت إلى الساحة الدولية بشكل واسع، وانتشرت في عقد التسعينات من القرن العشرين، وسعت للترويج لمظاهر العولمة الجديدة، حتى اجتاحت العالم كله."[3]

وبالنظر إلى تأثيراتها الثقافية فهي "تعد من التحديات المعاصرة التي تواجه الثقافة القومية وتهدد الهوية الثقافية للشعوب، كونها تقفز على رقابة الدولة، وتعمل على إضعاف سيطرة الحكومات والتقليل من حضورها بقصد تمزيق المجتمع والقضاء على الهوية القومية والوطنية."[4] في المقابل نجد أصحاب ما بعد الحداثة ومن أبرزهم "أنطوني جيدنز" الذي يعتبر عولمة وسائل الإعلام على أنها "ضغط الزمان والمكان وهي سمة رئيسية في العالم المعاصر."[5] كما أنها "الامتداد أو التوسع في مناطق جغرافية مع تقديم مضمون مشابه وذلك كمقدمة لنوع من التوسع الثقافي."[6]

فالهدف الأول والأساس من عولمة وسائل الإعلام هو توحيد المضمون، وتقليص البعد الجغرافي الذي كان يشكل في السابق عائقا أمام العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وتعرف كذلك بناء على ارتباطها بالاقتصاد والتغيرات التي أحدثتها في هذا المجال، حيث يعتبرها تشومسكي "الزيادة الضخمة في الإعلان

[1]. السيد أحمد مصطفى عمر، العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي العدد ٦٤، ص ١٦٦. ١٦٧

[2]. رحيمة عيساني، الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية، ، ص ١٢٢

[3]. المرجع نفسه، ص ١٢١. ١٢٢.

[4]. عليان عبد الله الحولي، دور وسائل الإعلام في تعزيز الثقافة العربية، أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون "الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية"، ص ٣٦٧

[5]. علي عبد الفتاح كنعان، الإعلام الدولي والعولمة الجديدة، دار اليازوري للطباعة والنشر، ط١، الأردن، ٢٠١٤، ص١٤٢.

[6]. علي عبد الفتاح كنعان، الإعلام الدولي والعولمة الجديدة، مرجع سابق، ص ١٤٢.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

خاصة الإعلان عن السلع الأجنبية، والتركيز في ملكية وسائل الإعلام الدولية، وبالتالي انخفاض التنوع والمعلومـات مقابل الزيادة في التوجه للمعلن."[1]

وعموما فإن التعريفات التي تناولت مفهوم العولمة الإعلامية كظاهرة جديدة محدودة جدا، ولم تستطع الوصول إلى تعريف واحد دقيق، فنجد أن جل هذه المحاولات انقسمت إلى اتجاهين أساسيين هما:

اتجاه مؤيد يرى أن العولمة الإعلامية تسعى إلى ضمان حرية الاتصال، والحق في اختيار المعلومات والمضامين الإعلامية، وتحطيم قيود العزلة المفروضة على الناس من خلال التدفق الحر والسريع للمعلومات، ومن ثم تحقيق التقارب الإنساني والمشاركة العالمية في قضايا مختلفة كالتعاون والتعاطف عند الأزمات، إضافة إلى رفع الوعي والتثقيف والتنمية المجتمعية، ناهيك عن فضح ممارسات بعض الحكومات التي تمارس الظلم والقهر على شعوبها. فبفضل العولمة الإعلامية "يصبح التغيير استحقاقاً وليس خياراً فحسب، وتصبح الخصوصية جزءا من الشمولية ويندمج الخاص بالعام والاستثناء بالقاعدة."[2]

أما الاتجاه الآخر فهو يرى أن العولمة "نظام يقفز على الدولة، والأمة، والوطن، نظام يريد رفع الحواجز، والحدود، إنه نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية للأمة من أي محتوى، ويدفع إلى التفتيت، والتشتيت ليربط الناس بعالم اللاوطن، واللاأمة، واللادولة."[3]

وبغض النظر عن اختلاف الآراء حول ايجابياتها وسلبياتها، فإنه يمكن القول أن العولمة الإعلامية هي عملة ذات وجهين. فإذا كانت ترمي إلى التثقيف وإزاحة العزلة والتقارب الإنساني والتشهير بممارسات الفساد والاستبداد من جانب، فهي من جانب آخر تعمل على تزييف الوعي والمساس بالقيم الاجتماعية والأخلاقية للأمم، وكذا إخفاء الحقائق والتلاعب بها وتشويهها، فضلا عن الانقسام داخل المجتمعات بين دول قادرة على الاستفادة من تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتوظيفها، وأخرى ضعيفة غير قادرة على ذلك.

ثالثا: العولمة الإعلامية وسؤال الحفاظ على القيم الإسلامية

تعد العولمة الإعلامية من أبرز العوامل المهمة التي أسهمت في إحداث التغير الثقافي فهي لم تعمق الهوة بين الأفراد وثقافتهم فحسب بل أحدثت اضطرابات وتوترات وخلافات كبرى داخل المجتمعات وفيما بينها كذلك. كما أفرزت موجات من التعصب والكراهية والعداء ورفض الآخر فأصبحت بذلك قضية الحوار بين الثقافات من القضايا الأساسية التي تحتل مكانة كبرى في العصر الحالي الذي يعيش تحت وقع العولمة

[1]. رحيمة عيساني، الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية، مرجع سابق، ص ١١٨.

[2]- عبد الحسين شعبان، العولمة والإعلام.. أثمة مبالغات؟ مدونة الجزيرة، تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٠٣/١٢ الساعة التاسعة صباحا

https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions

[3] - محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات، مجلة المستقبل العربي، ع ٢٢٨، ١٩٩٨، ص١٩

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

وما طرحته من إشكالات عميقة تمس الخصوصيات الثقافية وتهدد مستقبل التنوع الثقافي كما تهدم كل الطرق التي تؤدي إلى تحقيق الحوار بين الثقافات.

فإذا كانت العولمة الإعلامية قد أثرت على جميع فئات المجتمع بما في ذلك الناشئة، هذه الفئة الهشة التي يسهل اختراقها وصياغتها بالطريقة التي يراد لها أن تكون عليها، فإن واجب الإعلام في هذا الإطار يتمثل في حمايتها من الأنماط والعناصر الدخيلة على ثقافتنا والتي تحملها البرامج والرسوم المتحركة والألعاب الإلكترونية الموجهة لهم، وترسيخ بدلا من ذلك قيم ومفاهيم تحترم المبادئ الإنسانية والأخلاقية وتثبت العناصر الثقافية لهذا المجتمع.

من الملاحظ أن وسائل الإعلام والاتصال لم تكن تعرف قوة وتأثيرا كما هو الحال عليه اليوم، ولعل ذلك راجع بلا شك إلى التطورات التي عرفتها التكنولوجيات والتقنيات الحديثة والتي برزت مع بداية عصر العولمة. فوسائل الإعلام اليوم لم تعد ذلك الجهاز الذي تقتصر وظيفته على نقل الأخبار والمعلومات والمعارف وتسلية الجمهور، ولكن بواسطته كثر التفاعل بين الشعوب، وأصبح تداول المعلومات وتبادل الأفكار يتم بشكل أسهل وأسرع من أي وقت مضى، والأكثر من ذلك، أصبحت وسائل الإعلام مصنعا لإنتاج التصورات والآراء والمشاعر، فهي المسؤولة المباشرة اليوم عن "تولد الشعور بالإيجابية أو السلبية، أو الحب أو العداء، أو الكره أو التسامح، أو الحوار أو التعصب إلى رأي أو فكر محدد، ويرجع هذا إلى الكم الكبير من المعلومات والانطباعات التي قد يجدها المتلقي في هذه المضامين."[1]

إذا كانت وسائل الإعلام قادرة على التأثير في حياة المجتمعات وتغيير أفكارها وأنماطها ودعوة الأفراد إلى الصراع وتكريس مشاعر العنف والأنانية والكراهية، فإنها قادرة كذلك وبالاعتماد على نفس الأدوات والوسائل، على توجيه العالم بطريقة أكثر إيجابية نحو اعتماد ثقافة الحوار، لأن "الإعلام في أصله يبقى وسيلة حيادية توظف للبناء أو الهدم على السواء حتى أصبح المتحكمون فيه باستطاعتهم أن يتلاعبوا بعقول المتلقين واهتماماتهم، لهذا تعددت الدراسات الاجتماعية والنفسية للدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في التأثير على الجمهور؛ بل والقدرة على تغيير اتجاهاته وتصرفاته وثقافته نحو البناء والتنمية أو العكس."[2]

إن خريطة المجتمع العربي تتضمن أربعة نماذج إعلامية إضافة إلى الصحافة الحزبية يدور التنافس فيما بينها وتختلف الأمة حولها ويدعي كل نموذج أنه الأنسب للجمهور أو المجتمعات العربية. وتشمل هذه النماذج: الإعلام الرسمي، الإعلام الخاص التجاري، الإعلام الديني المتخصص، الإعلام الإسلامي الشامل."[3]

[1] - عبد الفتاح الداغر، دور وسائل الإعلام في نشر ثقافة الحوار وتعزيز التعايش مع الآخر لدى الشباب الجامعي، ، ص ٢٩.

[2] - عبد الفتاح الداغر، دور وسائل الإعلام في نشر ثقافة الحوار وتعزيز التعايش مع الآخر لدى الشباب الجامعي، ، ص ٣.

[3] - صابر حارص، الإعلام العربي والعولمة الثقافية والسياسية من الترغيب والتنويم إلى الصراع والتدمير، ص ١٢٠.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

يتمثل الإشكال الذي تطرحه هذه النماذج الأربعة في كون أن ما تعبر عنه لا يعكس دائما طبيعتها وما يجب أن تكون عليه. فالإعلام الرسمي، في أغلب الأحيان، يقف في صف النظام ويحسن صورته ويحاول تغطية الحقائق وتلميع الواقع. والإعلام الخاص التجاري يحاول إثارة غرائز الأفراد ويخاطب شهواتهم ورغباتهم وينمي فيهم هوس الاستهلاك. فهو فالأخير هدفه مادي ولا يراعي الجوانب الأخلاقية والثقافية وآثارها على الجمهور.

وأحيانا "يستعين كل من الإعلام الرسمي والإعلام التجاري من بعضهما البعض من أجل تحقيق أهدافهما بحيث يلجأ الإعلام الرسمي إلى برامج اللهو والإثارة لتمرير بعض أهدافه السياسية. كما قد يلجأ الإعلام التجاري إلى برامج سياسية وثقافية حتى لا يكون عاري من الجدية تماما ويسهل تشويهه لدى العامة."[1]

وبخصوص الإعلام الديني فهو إعلام متخصص في الأمور الدينية حيث يتطرق عبر البرامج الإذاعية أو التلفزيونية أو عبر قنوات وصفحات إلكترونية خاصة بالشأن الديني إلى طرق العبادات والمعاملات وأساليب العيش، ولا يتدخل في أي مجال من مجالات الحياة الأخرى التي يهتم بها الإعلام عموما.

وعلى هذا النموذج الإعلامي أن يقوم بوظيفته الإرشادية والتوجيهية والتفسيرية دون تمييع وتحريف، أو تهويل وترهيب، مع الحرص على أن لا يتخذ منحى اقتصاديا يصبح من خلاله الدين تجارة تحقق ربحا ماديا، أو منحى سياسيا يعبر عن أهداف السلطة السياسية، أو منحى إيديولوجي يتم من خلاله شحن الأفراد بأفكار جديدة تزعزع مقوماتهم الدينية والثقافية والاجتماعية.

إن الإعلام الإسلامي هو "منهج ورؤية شاملة تفرض معاييرها وقيمها على كل ما تبثه وسائل الإعلام، بحيث تكون الغايات والمضامين والأساليب المتبعة في مخاطبة الجماهير لا تتعارض مع قيم الإسلام التي هي بالضرورة في صالح المجتمع والأفراد."[2] مما يعني أن النموذج الإسلامي هو النموذج الأفضل الذي يرقى بالنماذج الإعلامية الأخرى، فيستخرج الجوانب الإيجابية منها ويجعلها الصيغة الإعلامية الأكثر توازنا وصلاحا من خلال الدعوة إلى فهم الآخر، وتحقيق العدالة الاجتماعية، والتعايش والتسامح، وإقرار الحوار بين الشعوب على رغم اختلافاتها الثقافية، ورفض الظلم والعنف والحرب والصراع، وكل ذلك من أجل الارتقاء بالبشرية وضمان أمنها وسلامها.

من هنا تبرز أهمية وضرورة "إيجاد ما يسمى بإعلام دولي عربي، وإعلام دولي إسلامي يقتصر في مهامه على الانفتاح والتعامل مع الشعوب الأخرى ووسائل إعلامها وجماعات الضغط والمصالح فيها، فيطرح عليها بأكثر من لغة الإسلام كبديل فكري وديني وحياتي يضمن سعادة البشرية وأمنها وسلامها حتى في ظل قبوله وتعايشه مع أصحاب الديانات الأخرى، ويقوم في الوقت نفسه بالرد على محاولات الإساءة وتشويه الصورة التي يمارسها الآخر نحو العرب والمسلمين."[3]

[1] - المرجع نفسه، ص ١٢١.

[2] - صابر حارص، الإعلام العربي والعولمة الثقافية والسياسية من الترغيب والتنويم إلى الصراع والتدمير، ، ص ١٢١.

[3] - المرجع نفسه، ص ١٢٣.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

إن الصراع الثقافي عادة نابع من تركيز وسائل الإعلام على نقاط الاختلاف والتباين بين الثقافات، ومن ثم عدم قبولها ومحاولة تغييرها إما طواعية من خلال الشعور بالدونية والانحطاط وتفوق الثقافة الأخرى والاقتناع بضرورة استبدالها من أجل التمتع بحياة راقية، أو بالغصب لاعتبار أن الثقافة الأم هي الأفضل والأعظم من بين كل الثقافات والحضارات، فيتم بذلك تنميط الآخرين وسلبهم ثقافتهم من أجل فرض الهيمنة والسيطرة.

لا شك أن مسؤولية الحفاظ على القيم والهوية الثقافية تقع على جميع الأجهزة داخل المجتمع، لكن أهمها إطلاقا هي وسائل الإعلام لما لها من قدرة على التأثير في الأفراد. فإذا استطاع الإعلام أن يؤدي وظيفته بإيجابية فإنه بإمكانه أن يعزز الوعي بالهوية عن طريق نقل تراث المجتمع وترسيخ قيمه وعاداته وتقاليده وأفكاره الأصلية، ومن ثم تعميق ارتباط الفرد بتاريخه وحضارته وثقافته ومجتمعه ووطنه، وهذا يزيد حتما من الوعي بالهوية والشعور بالانتماء الوطني من جهة، وتقوية سيادة وسلطة الدولة على محيطها من جهة أخرى فلا تستطيع أي قوة اختراقها، وحتى إذا حدث ذلك ستجد أمامها جدار متين لا يمر من خلاله إلا ما هو صالح ونافع.

إن الفرد لا يمكن أن يدوم تعلقه بهويته طويلا في ظل تعرضه الكاسح لصور وأنماط الثقافة الجديدة التي تبدو في نظره خالية من كل العيوب، فهذا سيجعله منبهرا مذهولا بها كما سيشتته ذلك ويبعده تلقائيا عن منظومته الثقافية. ولكن عندما يرى نفسه وحضارته ومسيرته عبر وسائل الإعلام بشكل مستمر فإن ذلك سيثبت علاقته وروابطه بوطنه، ويزيد من ثقته بهويته وافتخاره واعتزازه بها، كما سيؤكد ذلك على مدى عراقة حضارته، ويستطيع التمييز بين ثقافته وثقافة الآخر بشكل واعي، بحيث يتقبل بمرونة الاختلافات الطبيعية والضرورية القائمة بينه وبين الآخر، ويقتنع بعدم ملاءمتها داخل وسطه الاجتماعي ذلك أن "أي ثقافة أو تيار له خصوصية نشأته وظهوره في إطار بيئته، فقد يكون إيجابي داخل بيئته ولكنه سلبي في بيئات أخرى مغايرة. وقد يكون ديمقراطي في بيئته ولكنه يمارس القهر والتسلط خارجها كما هو الحال بالنسبة للديمقراطية الغربية الأمريكية."[1]

فضلا عن ذلك فإن فرض عناصر الثقافة الأخرى لن يؤدي إلى التقليل من الذات واحتقارها فقط، ولكن سيؤدي أيضا إلى تعزيز الشعور بالخطر من المجتمعات الأخرى، مما يزيد من فرص الصراع فيما بينها، ويزيد من إساءة كل طرف إلى الآخر، ويقلل من احترام ماضيه وحاضره، وبالتالي سيغلق كل أبواب الحوار والتعايش والتسامح.

ففي ظل تفاقم التأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية وما نتج عن ذلك من تناقضات عميقة على مستوى الهويات والقوميات الوطنية، أصبح من الضروري التفكير والبحث في طرق واستراتيجيات إعلامية جديدة بديلة لإعلام العولمة الذي يعرفه عصرنا الراهن. فالعولمة وإن كانت ذات طابع كوني، وتتوفر على آليات تجعلها قادرة على التعمق أكثر في جميع مناحي حياتنا، فضلا عن ما لها من تأثيرات بالغة الخطورة؛

[1] - صابر حارص، الإعلام العربي والعولمة الثقافية والسياسية من الترغيب والتنويم إلى الصراع والتدمير، ص ١٢٣

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

إلا أن هذا لا يعني أنها تمثل مصيرنا المحتوم وقدرنا الذي لا رجعة فيه، ولكن مصيرنا ومستقبلنا رهين بكيفية تفاعلنا مع هذا الواقع سواء بقبوله أو رفضه، وكيفية مواجهته بطرق أكثر جدية وواقعية.

إن البحث عن صيغ وتصورات جديدة لمستقبل الإعلام في عصر يعرف تحولات وتغيرات اقتصادية واجتماعية وتكنولوجية وعلمية، يستلزم أخذ الكثير من الحيطة والحذر حتى لا نقع في فخ الحلول الجاهزة التي لا تتناسب وواقعنا وإمكانياتنا، لأنه لا وجود أساسا لوصفة سحرية جاهزة، وإذا كانت فهي من أجل تحقيق أهداف ومصالح الجهات التي وضعتها. نحن في حاجة إلى نظرة حاذقة لتحليل وفهم طبيعة التحولات التي تهز العالم، والخروج بحلول دقيقة دون تجاهل التطورات التقنية والعلمية التي يعيشها العالم حاليا.

ولإعادة ترتيب الوضع العالمي وضمان حقوق المجتمعات العربية ومنحها الحرية في اتخاذ قراراتها، واستعادة التحكم في وسائل الإعلام الوطنية وإصلاحها، وكذا رد الاعتبار لحضارتها وهويتها وقيمها وثقافتها، والاستفادة هي الأخرى من العولمة دون التأثر بسلبياتها، ينبغي التركيز على العديد من النقاط والمرتكزات الأساسية التي نسطرها في ما يلي:

إن النقطة الأولى والأساسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار في ما يخص حل الجدل القائم حول العولمة وانعكاساتها على ثقافات شعوب العالم هي ضرورة المشاركة العالمية في القضايا المطروحة، لأن العولمة هي أولا ظاهرة كونية ترتبط بجميع دول العالم، ومن حق جميع الدول التدخل فيها وطرح آراءهم واقتراحاتهم في ما يخص كيفية الدخول غمارها وإمكانية الخروج بأقل الأضرار الممكنة.

ثانيا، إذا كانت هذه النقاشات تدور دائما بين الدول المتقدمة التي لم تعرف أضرارا بالغة الخطورة كما هو الحال بالنسبة لباقي الدول الأخرى، كما أن إمكانياتها تساعدها نسبيا على التصدي للتحديات التي تفرضها العولمة، فإن الدول النامية والتي لم تترك العولمة مجالا في حياتهم إلا وغرست أنيابها به، من المفترض أن تكون أولى بهذا النقاش، وأن تكون السباقة دائما في طرح إشكالاتها وتحديد المخاطر التي تهدد كيانها وهويتها الثقافية، كما تحدد الفرص والخيارات المتاحة أمامها وذلك لمعرفة مستقبل إعلامها الوطني في ظل التطورات التكنولوجية المتسارعة، ثم المدى الذي ستصل إليه تأثيراته وانعكاساته على الثقافية القومية.

فالحل إذن هو "التحرر الثقافي إذ لا يمكن لأحد خارج البلاد أن يحل مشاكل البلاد، بل يمكن الاعتماد عليه في التعاون والخبرة لكن على أساس تخطيطي وليس على أساس أن اختياراته هي الأولوية. يمكن الاعتماد عليه باعتباره آلة ووسيلة وليس في المقاصد وفي الغايات."[1]

لقد تبين أن الإعلام العربي لا يستطيع بمقوماته الحالية أن يتعامل بشكل فعال وواع مع التحديات الثقافية للعولمة، أو أن يواجهها ولو بشكل نسبي، لأنه في الأصل يعاني مجموعة من المعوقات بغض النظر عن إمكانياته البسيطة والمحدودة. وهذه المعوقات تتمثل أساسا في "غياب السياسات الإعلامية المبنية على دراسات وتصورات علمية من واقع ظروف المجتمع. وعدم وضوح الأهداف والغايات التي نشأت من أجلها كل قناة فضائية عربية، فسارت بعضها في اتجاه الهبوط والانحلال بأذواق وأخلاقيات الجمهور لتحقيق

[1] - المهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميغاإمبريالية، ص ١٨٤.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

مكاسب مادية. بينما لم تستطع قنوات أخرى أن تحدد إلى أين تتجه وفي أي طريق تسير، بحيث تواجدت قنوات تكسب بالصدفة وتخسر بالصدفة دون أن تكون لديها معايير ومقومات نجاح معروفة ومحددة."[1]

وهذا الأمر لا تعرفه القنوات الفضائية فحسب بل حتى المواقع الإخبارية الإلكترونية، هذه الأخيرة التي تعد من بين وسائل الإعلام الأكثر قربا وتداولا بين الناس لما تتسم به من خصائص ومميزات تجعل استخدامها أكثر يسرا وأقل تعقيدا. فهذه المواقع الإلكترونية نجدها عادة دون هدف أو غاية أو حتى خطة عمل محددة، وظيفتها الوحيدة التي تسعى إلى تحقيقها هي جذب المستخدم بكل الأساليب والطرق، والتنافس مع المواقع الأخرى على شد انتباهه أطول وقت ممكن. وهنا نلاحظ "حضور التصور المادي والتسويقي في عمل سياسات وممارسات المؤسسات الإعلامية، في مقابل غياب التصور الثقافي والاجتماعي الذي يجب أن يعمل في إطاره كل من أصحاب هذه المؤسسات والقائم بالاتصال بها. وبالتالي فقد سيطرت الغايات المادية والاهتمامات الربحية في صناعة الرسالة الإعلامية على حساب الجوانب التربوية والتنموية."[2]

ونتيجة لذلك يتم التجاهل الكلي لقيم وثقافة المجتمع، دون التفكير في ما يمكن أن تؤدي هذه الصور والأنماط الجديدة من تغيير جذري في هويته ومقوماته وقيمه، فضلا عن الجهل بطبيعة المشاهد العربي وشخصيته وما يريد فعلا أن يتعرض له وليس ما فرضته عليه وسائل الإعلام.

إن التحدي الكبير الذي يواجهه العالم العربي والمتمثل في حماية ثقافته من الانصهار في الثقافة العالمية الأمريكية والتي لا تعترف بالآخر ولا بقيمه ولا بحقه في الاختلاف والتنوع الثقافي، يتطلب بشكل أساسي تحرير الأفراد من قيود السلطة لمواجهة الكذب والتزييف والتظليل والتشويه الذي تتعرض له الأخبار والمعلومات والصور في العالم العربي والإسلامي، وهذا من شأنه بلا شك أن يجعل الإعلام قائم على أسس وركائز متينة، وقادر على التنافس في الساحة الإعلامية العالمية، وتعريف الآخرين بمدى عراقة حضارته، وتاريخ مجتمعه، وطبيعة أفكاره وقيمه، فضلا عن ما يميز مجتمعه وثقافته عن باقي الثقافات الأخرى.

لقد أصبح من الضروري على وسائل الإعلام اليوم تغيير الصيغة الإعلامية التي تعبر من خلالها عن العالم العربي والإسلامي على وجه الخصوص. ففي الغالب نجدها تطرح القضايا والأفكار والمواضيع التي تخص المجتمع بنوع من الازدواجية والتناقض، وخاصة في ما تعرضه عبر القنوات التلفزية، وبالتالي غياب نموذج حقيقي وواقعي يقدمه الإعلام كثقافة شاملة وكاملة تعبر عن المجتمع بكل موضوعية ومصداقية.

فمن جهة نجد بعض البرامج الاجتماعية والفنية أو المسلسلات والأفلام أو حتى النشرات الإخبارية أحيانا تقدم صورة المجتمع المثالي الذي يعيش أقصى درجات التحرر. في المقابل تقدم البرامج الدينية صورة مشوهة تماما عن القيم والتاريخ والحضارة الإسلامية، فتظهر بذلك المجتمعات الإسلامية في صورة متشددة وعنصرية، تغرس مشاعر الذعر والخوف، لا في نفوس المجتمعات والديانات الأخرى فحسب؛ بل وحتى عند المسلمين أنفسهم الذين أصبحوا يؤمنون بأن مصادر التعصب والعنف والإرهاب في العالم نابعة أساسا

[1] - صابر حارص، الإعلام العربي والعولمة الإعلامية والثقافية والسياسية، ص ١١٩.

[2] - المرجع نفسه، ص ١١٩. –بتصرف-

من ثقافتهم الإسلامية. ونتيجة لذلك يعيش أفراد المجتمع داخل مجموعة من التناقضات فيرفضون كل ما هو مباح، ويتبنون في حياتهم الواقعية ما ينتقدونه عبر الشاشات. وبالتالي الافتقاد إلى مؤسسة تربوية واضحة ذات ركائز متينة يمكن اعتمادها في التنشئة الاجتماعية لترسيخ منظومة ثقافية متكاملة ومتوازنة.

لقد أتيح لنا من خلال هذه الدراسة رصد التأثيرات السلبية للعولمة الإعلامية، واكتشاف مكامن الخلل في الإعلام العربي والإسلامي وكيف من الواجب أن يؤدي عمله في ظل هذا النظام الجديد من العلاقات بين الثقافات والذي نشأ نتيجة الصراع بين القوى الكبرى المهيمنة عالميا، وخاصة بعد أن أثبت أنه إعلام غير متحرر من قيود الغرب هذا الأخير الذي يتحكم في كل مراحل صناعته وإعداده، كما اتضح أنه غير قادر على مواجهة انعكاسات العولمة وتحدياتها.

إن الواجب الذي يقع على عاتق الإعلام اليوم ليس هو الانسحاب من منافسة العصر ونشر ثقافة بالية لا تقبل التغيير والتطور ولكن التوعية أولا بآليات الهيمنة الجديدة وضرورة الحفاظ على الموروث القيمي وشحن الأفراد بنماذج لا تقطع صلتهم بحضارتهم وهويتهم فضلا عن تبني موقف صارم بخصوص المحتويات والمضامين التي تعرضها والتسلح من خلالها بالهوية والتاريخ والحضارة العربية والقيم الإسلامية العريقة.

المراجع المعتمدة:

- الكتب باللغة العربية

بثينة حسنين عمارة، العولمة وتحديات العصر وانعكاساتها على المجتمع المصري، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠.

- حسين علي إبراهيم الفلاحي، العولمة الجديدة: أبعادها، انعكاساتها، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، العراق، ٢٠١٤.
- صابر حارص، الإعلام العربي والعولمة الثقافية والسياسية من الترغيب والتنويم إلى الصراع والتدمير، العربي للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨.
- علي عبد الفتاح كنعان، الإعلام الدولي والعولمة الجديدة، دار اليازوري للطباعة والنشر، ط١، الأردن، ٢٠١٤.
- عليان عبد الله الحولي، دور وسائل الإعلام في تعزيز الثقافة العربية، أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون "الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية"، شركة مطابع الخط، الأردن، ١٩٩٩.
- مجموعة باحثين، بحوث ومناقشات ندوة فكرية: العرب والعولمة، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط٣، بيروت، ٢٠٠٠.

✔ محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر العربي: العولمة ـ صراع الحضارات ـ العودة إلى الأخلاق ـ التسامح الديمقراطية ونظام القيم ـ الفلسفة والمدينة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٩٨.

✔ مختار مفتاح السنوسي، الإعلام الدولي: الأسس والمفاهيم، دار زهران للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٨.

✔ وليد عبد الحي، انعكاسات العولمة على الوطن العربي، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، سلسلة أوراق الجزيرة ٢١، بيروت، ط١، ٢٠١١.

✔ أحمد الجميلي، أوهام التنمية العربية: صورة الاختلالات في هياكل الإنتاج وتركيب التجارة الخارجية، مجلة شئون سياسية، ع ١، يناير، ١٩٩٤.

✔ أحمد عباس البديع، ظاهرة العولمة: جذورها التاريخية وتداعياتها المعاصرة، مجلة النيل، الهيئة العامة للاستعلامات، ع ٧٢، القاهرة، ١٩٩٩.

✔ إسماعيل صبري عبد الله، الكوكبة الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية، مجلة الطريق، ع ٤، غشت ١٩٩٧.

✔ جراهام طومسون، مقدمة تحديد موقع العولمة المحلية الدولية للعلوم الاجتماعية، اليونسكو، ع ١٦٠، يونيو،١٩٩٠.

✔ رحيمة عيساني، الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية، دراسة دكتوراه، كلية العلوم السياسية العلاقات الدولية وعلوم الإعلام والاتصال، الجزائر، ٢٠٠٦.

✔ السيد أحمد مصطفى عمر، العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي العدد ٦٤، ط٢، بيروت، ٢٠٠٤.

✔ عبد العزيز المنصور، العولمة والخيارات العربية المستقبلية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٥، العدد٢، ٢٠٠٩

✔ محمد شومان، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي، مجلة عالم الفكر، ع ٢ ، ١٩٩٩.

✔ محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات، مجلة المستقبل العربي، ع ٢٢٨، ١٩٩٨.

✔ المواقع الالكترونية

عبد الحسين شعبان، العولمة والإعلام.. أثمة مبالغات؟ مدونة الجزيرة، تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٠٣/١٢ الساعة التاسعة صباحا https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions